

نقد العقل التفاعلي -مقاربة تداولية في أخلاقيات التفكير الرقمي-

Interactive Mind Criticism

-A pragmatic approach to the ethics of digital thinking-

بن يمينه كريم محمد*

جامعة مولاي الطاهر سعيدة ، الجزائر (karimedb@yahoo.fr)

تاريخ الاستلام : 2021/09/17 ؛ تاريخ القبول : 2021/12/01 ؛ تاريخ النشر : 2021 /12/ 20

Abstract

الملخص

The interactive mind based on intellectual exchange becomes among the concerns of practical philosophy through the employment of digital thinking in the fields of computing, dialogue mechanisms and communication techniques. ...as well as the future fate of the human being in discussing a post-virtual question: Is digital interactivity a future function that threatens human nature, security, and existence and replaces it with a mechanism? And how do we invest the inputs of digitization to develop the requirements of humanization in the foresight of the beyond?

Keys words: Interactivity, Pragmatics, Digitization, Practical philosophy, Criticism, Ethics, The future.

يغدو العقل التفاعلي القائم على المبادلة الفكرية ضمن اهتمامات الفلسفة العملية من خلال توظيف التفكير الرقمي في مجالات الحوسبة وآليات التحوار وتقنيات التخاطب، كما يُسهم النسق التفاعلي في تنشيط تداوليات نقد التواصل البشري الافتراضي مما يستدعي مناقشة أخلاقيات الرقمي وموائيق التقنية، ومقاربة الذكاءات الاصطناعية في علاقة الإنسان بالآلة .. وكذا مصير الإنسان المستقبلي في مباحثة سؤال ما بعد الافتراضي: هل التفاعلية الرقمية وظيفة مستقبلية تُحدد طبيعة الإنسان وأمنه ووجوده وتستبدله بالآلية؟ وكيف نستثمر مدخلات الرقمنة لتنمية متطلبات الأنسنة في استشراف المابعد؟

كلمات مفتاحية: التفاعلية، التداولية، الرقمنة، الفلسفة العملية، النقد، الأخلاقيات، المستقبل.

* الباحث المرسل:

-مقاربة تداولية في أخلاقيات التفكير الرقمي-

مقدمة:

يُفرز "العقل التفاعلي Esprit interactif" ديناميكية تواصلية تشترك بين الوسائل التكنولوجية [الإعلام] والوسائط المتعددة [التطبيقات] قصد إنشاء المحتويات [المعلومات] وتوجيه الحواريات [المناقشات] وبغية تحريك "الفعل التواصلية" نحو ترشيد الحكمة [الوعي] وتنمية المحبة [الصدقة]، إذ أن الغرض من التفاعلية هو إيجاد المعابر العقلانية بين أطراف الحوارية، والاستجابة لأغراض المتكلمين [الارسانية] وأهدافهم اللغوية [التعبيرية] دون تحقيق الاقناعية باعتبار أن أخلاقيات الفعل التواصلية [المرونة، المناعة، السرية، الخصوصية، الأمن الرقمي...] تقف عند حدود الممارسة الاتصالية [الضيافة المعلوماتية].. أما ما يلحق هذا الفعل من تبعات فيؤوب الأمر إلى استراتيجيات مغايرة تتكفل بها أنساق معرفية بلاغية [الباتوس] وسياقات لغوية حجاجية [اللوغوس].

يُنمي "التفكير الرقمي Pensée numérique" مهارات التواصل [التعبيرات]، وأدوات الاتصال [الشبكات]، ويستدعي بالضرورة معرفة أصول الكلام [المشاركة الحاسوبية] وأسس النقاش [الضيافة المعلوماتية] للحد من انعدام الثقة بين أطراف الحوارية من جهة وللقضاء على الخوف واللاأمن من جهة أخرى، نظرا لما تقدمه التكنولوجيا من ثقافات متنوعة وأيديولوجيات متعددة .. ويتطلب الأمر توافر الحياء بشكل مفتوح وصارم وأصيل .. بعيداً عن النعرات الضيقة والانتماءات الرتيبة .. ويتخذ الاستهلاك [الفلسفة السائلة] جدلاً واسعاً مع أوهام السوق [التجارة الالكترونية]، في تشكل هويات معادية ورغبات مباغته تحتاج إلى مراقبة ومعاينة.

يَسْتَد "العالم الافتراضي] le monde virtuel "الواقع=العالم] على تقنيات العرض والتتبع والتفاعل والتنظيم والانتقال من ميثاوية البُعد [المكان] إلى ميثافيزيقا لما بعد [الزمان]. باستخدام فلسفة الابتعاد بين أطراف المحادثة القائمة على التعاون والتفاعل كالمشاركة والنشر والتعليق .. كما يقتضي الافتراض وجود الآلة [التقنية] لممارسة الفعل التخاطري [الحضور والغياب] أو التباعدي [الزمان والمكان] أو الأبعادي [الحقيقة والخيال] .. ويحصل هذا التفاعل عن طريق أداة [واسطة] تتوافر على تكنولوجيات فائقة وبرامج خاصة وتطبيقات معينة.. وصولاً إلى التوليفة العجيبة

[الميتافايس] التي تتربص بالإنسان في حياته ومصيره بتوظيف الحس [المس واللمس] لفائدة المخيال .

يَعتمد "الذكاء الاصطناعي L'intelligence artificielle "على توظيف استراتيجيات الآلية وبراديجمات التكرارية ضمن الحاسوبيات في تمثل القدرات الذهنية للإنسان [المحاكاة والتخطيط] القائمة على التعلم الذاتي والاستنتاج البرمجي والتفسير الهندسي والتكيف مع ظروف الحياة ومشكلاتها بغية تصميم الأنظمة المناسبة لتجاوز المعضلات التي تحبط الإنسان وتربكه من حيث الوقت والقدرة والقوة والسرعة والطاقة .. وهي عناصر لوجيستكية تُسهم في توافر بدائل تفاعلية رفيعة وانفعالية مفيدة .. ويشير التفكير البيوتاتيقي إلى جدل الآلة مع الإنسان وإمكانية تطويع الحواسيب الذكية لخدمة البشرية في أجواء من الحيرة والخوف والقلق والرهاب .. مما يهدد مستقبل الإنسان ويقوض منطقته ويدحض تفكيره ويحرض حياته على الزوال.

تُفتَح لفظة "الإنسان المستقبلي futur humain "على دياكتيك التكنولوجيا [التقنية] وسلطة البيولوجيا [الحياة] من حيث الصراع بين قوة الطبيعة وإرادة العيش.. كما يتضمن الحديث عن البيوتكنولوجية biotechnologie جملة من الأسئلة تتعلق بالصحة والإدمان والتجاوز والاستخدامات السلبية والخطيرة لهذه الوسائط .. ولنا أن نتساءل عن مصير الإنسان في ظل هذه الثورات الرقمية؟ وعن مستقبله كيف سيكون؟ وهل سيتمكن الإنسان من استعادة طبيعته البشرية في ظل الأزمات التي تنشب عن الاستخدام السلبي والخطير للتكنولوجيا؟

تَشْتَغَل "الأخلاقيات التطبيقية Éthique appliquée "على اليومي والمعيش والراهن والفعل، وذلك باستحضار مقومات التفلسف [التأمل، الشك، العمق، التحليل، الحرية، الحياد ...] في مناقشة مشكلات الحياة .. وخاصة ما يتعلق بالتقدم التكنولوجي [استخدامات التقنية وتطبيقاتها] باعتباره موردًا جديدًا يتوافق أو يتنافر مع حاجات الإنسان ومتطلباته .. وما يتوالد عنه من مشكلات تتعلق بقيم العدالة والإنصاف والحق والتفاعل والرفاهية والمشاركة.. ومساءلة منظومة السلوكات وأصول الممارسات .. كما تتولى "الفلسفة التطبيقية" معاينة الواقع واستشراف المستقبل ضمن الإمكانيات المتاحة والاحتمالات الممكنة.

-مقاربة تداولية في أخلاقيات التفكير الرقمي-

تُؤاكب "الفلسفة العملية philosophie pratique " ظروف العالم في مطارحة "أخلاقيات الرقمنة " Éthique numériqueضمن موضوعات الحاسوبية ومجالات السيبرنطيقا، وتصورات المستقبل القائمة على الثقة والخوف والتكلفة المادية والإدمان والأمن والاختراق والسرية والخصوصية والإباحية والانحراف والأخطاء والأخطار.. مما يتطلب الخوض في هذه المشكلات من خلال تنمية المراقبة الإيجابية [≠المعاقبة] والتفاعل السلمي الآمن.. ومن ثمة يمكننا استحضار الإشكاليات الآتية: كيف نحقق التوازن المعرفي والوجداني والنقدي وسط عالم الوسائط الرقمية؟ وكيف نُفعل النقد التداولي للواقع الافتراضي أثناء الاستعمال الرقمي؟ وهل في مقدور الفلسفة التطبيقية أن تستجيب لهذه المشكلات التكنولوجية بكل حيادية وموضوعية وابستيمية؟ وهل يمكن اقتراح أخلاقيات تطبيقية تناهض الرقمنة وتنصير لإرادة الإنسان؟

أولا= التفكير الرقمي والنقد التفاعلي:

تندرج "الفلسفة العملية" ضمن مسارات "الفلسفة التطبيقية"، باعتبار أن كل عمل تطبيق وليس كل تطبيق عمل، ويمكن المقارنة بين الفلسفتين من خلال الجدول الآتي:

الفلسفة العملية [practical philosophy] [philosophie pratique]	الفلسفة التطبيقية [applied philosophy] [philosophie appliquée]
العمل	الفعل
تُقابل الفلسفة النظرية	تُقابل الفلسفة العامة [التنظيرية]
الحواس [المعرفة التجريبية] = الملاحظة	الحدس [المعرفة المباشرة] = الخبرة
البيولوجيا [المادة الحية]	الفينومينولوجيا [الحياة]
التجربة، الفرضية، الاستنتاج	اليومي، الراهن، المعيش

ويُحيلنا جدل العملي والتطبيقي إلى مناقشة الإشكال الآتي: "ما هي الحدود الفاصلة بين العملي والتطبيقي؟ بين الوجود والحياة؟ بين الرقمي والواقعي؟" وهل "الفلسفة المادية .. عملية أم تطبيقية؟"، و"هل الرقمنة فلسفة تطبيقية أم عملية؟" باعتبار أن العملي يتوافق مع المناسب واللائق، بينما يرافق التطبيقي القيمي والأخلاقي، فتبحث العمليات في إرادة الأفعال [الفعلية]، وتنشط التطبيقات ضمن تداعيات الانفعالات [التفاعلية].

تُعيد "التفاعلية" في إيجاد ممارسة مغايرة للذات الواحدة مع الآخر، فهي حالة من الوجود الاستثنائي أو الافتراضي ... "أنا أفاعل إذن أنا موجود" [الغيرية].. وهي مقولة "أنا أوسيلفي إذن أنا موجود" [الذاتية]، فحين تلقي الأنا مع الآخر .. فإنها تشكل ثنائية أو حتى تطابقا بين قطبين ... فالمتفاعلون يغفلون عن العالم ويركزون على الحوار [اللقاء] الذي يدور بينهما .. إنه نوع من التشابك الفكري والتشارك الفعلي .. إنه البحث عن [التفيس، البديل ...] .. هذه التحولات الجديدة التي أنتجت الرقمنة في عالم السوشال ميديا، ويتضح ذلك من خلال المخرجات المفاهيمية التي يحملها جذر [فعل=زمن] ... في اصطلاحية [الفعل=الممارسة]:

الانفعالية [émotivité]	التفاعلية [Interactivité]	الفاعلية [puissance]	الفعلية [l'actuel]
العاطفية والحماسية	الممارسة التبادلية	السلطة والقوة	الراهنية والحقيقية
النزوة والرغبة	المعالجة بالحوار	التأثير والحاجية	الظاهرية والصحيحة
المزاج اليومي	الممارسة اليومية	الكفاءة اليومية	العالم اليوم

تؤسس "التفاعلية" لسؤالات الحضور [الوجود] والغياب [العدم] في مساءلة الذات مع الآخر: من هو الشخص الفعال [توالدا]؟ ومن هو صاحب الأداء الحقيقي والأكثر تأثيرا [تداولاً]؟ أي من هم الأشخاص الذين يحضرون الآن؟ وأيهم الأكثر ظهورا وحضورا؟ ومن يملك السلطة في إيصال الفكرة وتمكين المعلومة؟ ومن يتحكم في تدبير وإدارة المنصات والمواقع والصفحات بشكل أقوى [الطاقة]

-مقاربة تداولية في أخلاقيات التفكير الرقمي-

وأبعد [المسافة] وأوسع [المساحة] وأدوم [الزمن]؟ من يستطيع فرض الاحترام؟ والاستجابة لأكبر قدر من المتابعين [المشاركين].

كما يُرشدنا "التفاعل" إلى أفهوم الطبيعة البشرية لهذا الشخص الذي يتخذ من العمليات الرقمية أسلوبا للعيش بعيدا عن الظواهر الاجتماعية الأخرى.. حيث يكشف لنا حضور أو غياب المتفاعل ظروفه النفسية والاجتماعية ومواقفه وأفكاره .. سواء أعلق الأمر بالاهتمام [المبالاة] أو الإهمال [اللامبالاة] .. فالتفاعلية مؤشر على قيمة الشخص [الحقيقة] والوقت والمدة [الزمن].

يقوم "التفكير الرقمي" على "الاقتصاد المعرفي" في تحريك ومشاركة ومتابعة "النص الرقمي"، والذي «هو النص المقدم الكترونيا، بالاتصال بالشبكة أو دون الاتصال بها، بالإضافة إلى الاستعانة بالصوت والصورة والوسائط المتعددة، ويشترط فيه الحضور التام للقارئ الفاعل والمتفاعل» (ملحم، 2013، صفحة 19) فلا يشترط في الرقمية كون المتفاعل متصلا بالشبكة، لكن أن تكون الوسائط المتعددة المستخدمة تحمل دلالة الرقمنة، إذ تشكل التفاعلية ضمن التطبيقات الحاسوبية والبرامج المعلوماتية إمكانا للعزلة والانكفاء والابتعاد .. مع تفضيل [المفضلة] الحيز المقترح، وتفعيل الأنظمة الحوسبية المدرجة داخل الأجهزة أداة لتنفيذ العمليات الآلية.

يختتم مارتن هيدغر مقاله الموسوم بـ "نهاية الفلسفة ومهمة التفكير" بمقولة «ألا يمكن أن تعنون مهمة التفكير بدلا من الوجود والزمان: بالإضاءة والحضور؟ من أين إذن تجيء وكيف توجد الإضاءة؟ ماذا تقول في الوجود؟ لعل مهمة التفكير إذن هي تخلي التفكير المعاصر عن تحديد موضوع التفكير» (هيدغر، 2016، صفحة 79)، وبذلك يلمح إلى التفكير الإنساني داخل التفكير الرقمي .. حيث يجذب المتفاعل لقواعد الرقمنة تحت طائل الحضور والتفاعل ... فلا يمكنه التوقف عن استخدام التطبيقات إذا كان هناك من يتجاوب معه بسلطة وصداقة وعنفوان وإيمان .. سواء من بني البشر أو حتى من الأجهزة الإصطناعية فائقة الذكاء.

تُحيل لفظة "الاتصال" [خطاب القيم] إلى التجانس والاتفاق والتعاون والتضامن، ويضع عبد السلام بنعبد العالي مقارنة بين خطابي الاتصال والانفصال: (العالي، 2009، الصفحات 20-21)

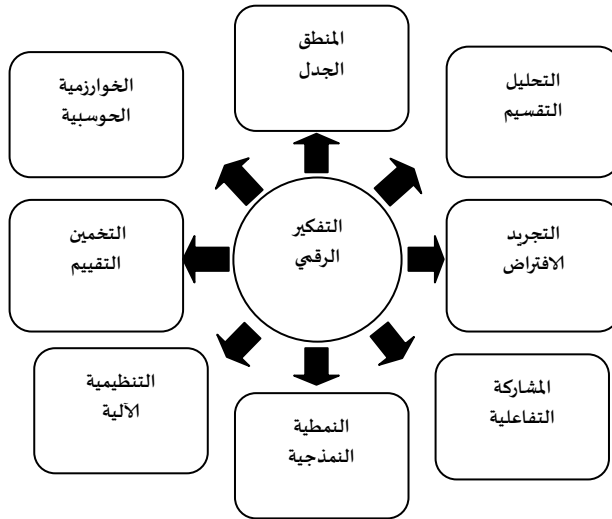
خطاب الانفصال [اليتم]	خطاب الاتصال [القيّم]
خطاب الفصل والقطيعات والتعدد، خطاب اليتيم.	خطاب الوصل والربط والوحدة، الخطاب الذي يقيم تيارات، ويرسخ عقائد، ويردد شعارات، فيؤسس عائلات فكرية.
خطاب غربة وهجرة وعزلة.	خطاب ألفة وحنين.
خطاب التنقل والترحال، خطاب "أحوال".	خطاب "مواقف" تقف في مواقع بعينها، خطاب "مقامات".
خطاب تشكك وارتياب وطمأ، خطاب تقويض وتقنيك.	خطاب الاقتناع والقناعة والتشبع، خطب تكوين وبناء.
خطاب النظر فيما قيل وما يقال، خطاب النفي والتراجع والمراجعة والنقد، خطاب العقل، خطاب المستقبل.	خطاب الاقتباسات والاستشهادات، خطاب السند، خطاب الاستناد إلى "ما قيل"، و"ما يقال"، خطاب التقليد والتدوين والذاكرة، خطاب النقل، خطاب الماضي.
خطاب السؤال والفراغ والنقصان و"العوز"، خطاب الانفتاح.	خطاب الأجوبة الجاهزة، خطاب الامتلاء والاكتمال، خطاب الانغلاق.

تؤكد القراءة الاستمولوجية لهذه المقاربة [الاتصال/الانفصال] مدى الجدل القائم بين القيم [الأخلاقيات] والتقنيات [التطورات] في تحديد مستويات "الخطاب" ودور التكنولوجيا إزاء ذلك، فلا يخلو تفاعل ما من تكريس الانعائية [التنوع] وتحقيق التداولية [التأثير]، إذ تقوم ثقافة "التفاعلية" في مجال الرقمنة على تكثيف اللقاءات بين الناس .. مما يؤدي إلى نشوء الصراعات وكثرة الصدامات .. فغالبا ما ينشأ هذا التواصل في لحظات من اليأس واليؤس والانفعال والأهواء [الباتوس] وفي غياب تام للعقل والمنطق [اللوغوس]، وهنا تحضر الأخلاق [الإيتوس] للحد من قهر الحورية [الطوبيقا] والمناقشة [الريطوريقا].

-مقاربة تداولية في أخلاقيات التفكير الرقمي-

تستند "المعرفة الرقمية" على تنمية المهارات وتعزيز المعارف في مختلف الموضوعات وشتى المجالات، فالكائن الرقمي موسوعي بالممارسة، «إنَّ التحول في طريقة استقبال المعرفة وفي أسلوب تفرغها، لا يتحصل بمنأى عن الذات التي تتفاعل مع الأثر التقني جدليا» (نجدي، 2017، صفحة 340)، فالتفاعل الرقمي نشاط تدريبي متواصل، ينمو مع مرور الوقت ويزداد قوة ومعرفة وسلطة.. فهو يجمع بين الشمولية [معرفة بكل شيء] والخصوصية [معرفة بالشيء نفسه]، وهذا يستوجب التفكير في مدخلات الأمان والرعاية والسلامة والعناية ومخرجات السلوكيات.

يسعى "التفكير الرقمي" إلى إلغاء التواصل التقليدي والاكتفاء بالأداءات القائمة على الاقتصاد المعرفي وعلى القدرات والمهارات في التعامل مع الوسائط المتعددة .. حتى وإن تحوّلت المعرفة إلى معلومة ... والخبر إلى أثر ... والمشهد إلى تعليق.. بسبب التداولية السريعة والكثيفة للأحداث والأخبار والنقاشات وتوليد البيانات، وهذا ما يوضحه الشكل الآتي :



يُقدم "التفكير الرقمي" معابر منطقية لحل المشكلات أو تحسين طرق التعامل معها، إذ تقترح الرقمنة سياقات متنوعة للخروج من الأزمة إما يتعلق بالبيانات والخدمات والمعارف والتحليلات والعمليات... [بتوافر المعلومات وتظافر المعطيات من جهة وتكسب أساليب منطقية ومهارات في تتبع العلل وكشف الخلل، وذلك من خلال دمج المعادلات وفك الروابط وضبط العلاقات ..

واستخدام وسائط متعددة تعتمد على الصورة والصوت والمشهد والحركة .. مع إمكان الوصول إلى المعطى الرقمي في أسرع الأوقات [الإدارة] وبأبسط التكاليف [الاقتصاد]، مما يزيد من فرص النجاح [التقدير] والربح [التوقع] والفائدة [التنمية].

تُعَد "المشاركة" [الاشتراك الرقمي] في تعيين الفروقات والتوافقات بين المتصلين [المتفاعلين]، كما تُعد مقياساً نفسياً لمعرفة وتعيين درجات الفقد *perte* ، [*loss*] الفقدان، والحرمان، الخسران، الضياع [ومدى الوجد *trouvé* ، [*found*] الوجودان، الإيجاد، الحضور، الاتباع] في تتبع مستويات التواصل بين سيكولوجية الاهتمام وسوسيولوجية الإهمال، ولما تحمله هذه اللفظة من دلالات البقاء والحياة والتعايش والوجود والكينونة، فالتواصل بين الناس دليل محبة وصداقة.. مما يطرح الكثير من أسئلة الحضور والغياب "من سؤال الإدمان إلى سؤال الحرمان" أي معاودة [معادلة] "الخوف من البقاء إلى الخوف من الزوال"، و"العزلة" *isolement* "الفصل، القطع، الاقصاء، المنع، ... [، و"الاعتزال" *retraite* "الانفراد، الاستقلال، الانفصال، الانعزال، الابتعاد، الانسحاب، التراجع، الخولة، ...]، فمن حق الفرد أن ينفرد مع نفسه [الحاجة إلى البقاء وحيداً] .. وهذا ما يتأكد من خلال النزوع إلى الوحدة أو النزوح نحو مقاطعة قنوات التواصل.

يَسمح "النقد التفاعلي" بتقويم وتقييم "التفكير الرقمي" من جهة، ومراقبة ومرافقة "الفعل التواصل" من جهة أخرى، «فالمسألة تبعث بكل تأكيد على التفكير في مؤدى اختلاف التفاعل القيمي مع الكلمة المكتوبة على ورقة بيضاء صماء، عن التفاعل مع الكلمة نفسها على شاشة الكمبيوتر، فالاختلاف لا يمكن حصره بالأداة التي تكلفت بإيصال معنى، على أنها وعاء لمضمون ما، ما دامت الورقة تحمل في ثناياها معاني مضمرة، تنطوي على تاريخ صناعة الكتابة كلها» (نجدي، 2017، صفحة 340)، فالنص الرقمي وليد الكلام بغية إيصال المعنى وتمكين الدلالة .. فيغدو "النقد التفاعلي" قراءة تواصلية مغايرة للفعل الحوسبي ومؤانسة نفسانية معتبرة لمراجعة الذات المتفاعلة وتنمية الذوق الفني التوالدي والتداولي، ومناسبة لبعث مشروع الأخلاقيات الرقمية.

يَتَجَلَّى الاشتغال الفلسفي بالتفكير الرقمي من خلال العناصر [المهام] الجديدة التي أصبحت ترافق الإنسان في يومياته وسلوكاته والتي تستدعي التكيف مع بيئة العمل [التنقل بالحاسوب الشخصي]، واشتراط الكفاءة الحوسبية في عقود وملفات التوظيف، وتكثيف الاتصالات وتخفيض المواصلات،

-مقاربة تداولية في أخلاقيات التفكير الرقمي-

وظهور مهن جديدة في سوق العمل تقوم على الرقمنة، والتحول الرقمي للشركات [الدفع عن بعد، متابعة الأرصدة، لا حاجة للتنقل] ويلزم عنه ربح الوقت وتوظيف الأموال دون الاضطرار إلى التنقل، وتنمية المهارات عن طريق التعلم الالكتروني [عن بعد] والاستفادة من تكوينات بخصوص هذا الشأن [من القاعدية إلى الاحترافية]، وتوافر المعلومة في أي وقت مع إمكانية مشاركتها ومناقشتها ونقدتها، والانتقال من أسئلة الوجود والقيم والأخلاق إلى موضوعات التقنية والشيئية والآلية والآنية والغيرية والهويات ... والحديث عن النهايات والمآل بعد الموت والذكاء الاصطناعي والإنسان الرقمي والمستقبلي، والاهتمام بالخيال العلمي [اليوتوبيا] والفضاءات المتعددة [الافتراضيات]، والانفصام الرقمي: اعتماد حسابات بأسماء مستعارة في مواقع السوشل ميديا [الأسد الجريج، الرجل المجهول، القوة الضاربة، النبض الحي، أخلاقي أولاً، زوجة فلان، امرأة من عصر الصراخ، لا أشبه أحداً، أم أحمد، زوجة وافتخر ...] وهي حسابات متكررة عادة، وتظهر الهوية الرقمية: الاسم، العنوان، المهنة، المهمة، البلد، الزمن ... فلم يعد الإنسان في عالم الاتصال يمثل ذلك الانتماء الأنطولوجي الحقيقي.

ثانياً = أخلاقيات التفكير الرقمي والذكاءات الاصطناعية:

تُمكن الرقمنة من توافر أرضية للعالم "الافتراضي" القائم على المحاكاة في مقابل بيئة "الواقعي" الذي يشكل امتداداً للحياة الحقيقية والسليمة للإنسان، «فمثلما "يفتح العالم الافتراضي آفاقاً لا متناهية للتعبير فتتواصل الأصوات المتشابهة والمتنافرة"، فإن كل تعبيرات وجودنا تمزج هي أيضاً، بين المتشابه والمتنافر، فنغدو أمام "واقع تبدو فيه تجارب العيش الأصيلة لحظات نادرة في كمّ من صفحات الحياة المقطعة من سياقاتها والملصوقة في سياقات آلة الصدفة الافتراضية"» (العالي، 2009، الصفحات 89-90)، فلم يعد الإنسان ينتظر عالم آخر [الآخرة]، يكفي أن يبحر في حاسوبه أو جواله لينتقل إلى بيئة موازية، فيفضل التقنية أصبح الحلم افتراضاً .. حتى وإن لم يتحول إلى حقيقة بعد، فالحياة الافتراضية هي في الأصل تنافر مع حقيقة الواقع .. أو هي بحث عن محتوى أفضل .. أو تملص من فحوى أسوأ ومضمون أوحش.

والافتراضي ليس بديلاً عن الواقعي حتى وإن كان امتداداً له، وحين تبجر في عوالم الرقمنة لابد أن تتطلق من أشياء الواقع وأجهزته [الحاسوب، الهاتف، الشاشة، الأسلاك...]. ولن تتحرر من الواقعي، فأغلب الخيالات والصور والأصوات والعوالم التي تطرقها في الافتراضي هي وليدة الحياة بجلوها ومُرّها وقلقها، كل ما في الأمر أنك تبحث عن زاوية مريحة أو نافذة ساحرة، لتجرب بالخيال [لا بالحس] فضاءات جديدة، لتتخلص من خوفك وجبنك وضعفك وفقرتك، و«لعل مفهومات مثل الحرية والأصالة والحق والعزلة والتواصل والحوار غير قادرة أن تصف هذه العوالم التي يتلبس فيها الوهم الحقيقية، ويمتزج فيها الافتراضي بالواقعي، فيعلو فيها الواقع على نفسه، لا ليغدو واقعا ساميا، وإنما ليصبح واقعا "فائضا"، ينفلت من ضوابط المنطق التقليدي، وبالأحرى ضوابط الأخلاق والقانون» (العالي، 2009، صفحة 90)، هذا الفيض الخيالي يفتح المجال واسعا لمناقشة "أخلاقيات التفكير الرقمي"، لأنّ "الافتراضي" يهدد كل حقيقة [ويتنافى معها] وعلى رأسها طبيعة الإنسان وحياته وصحته.

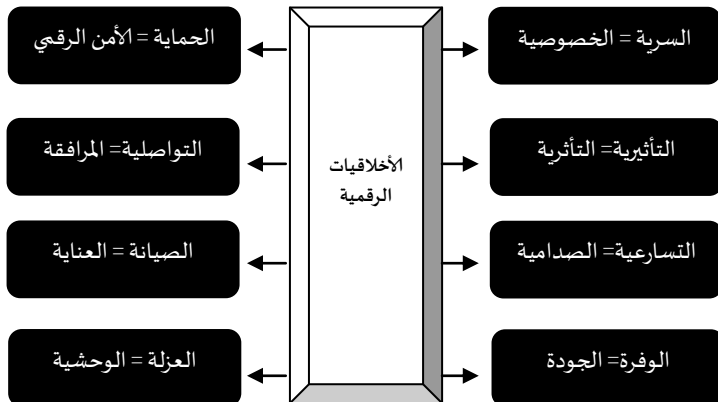
يستند "الذكاء الاصطناعي" على فكرة "الآلية" [التكرارية] حتى وإن تبدى لنا مغايراً للطبيعة الإنسانية بدرجات من التفوق والانبهار والقوة والجمال والتأثير والإبداع، فهو يشكل طفرة غير عادية ولا عادلة في حياة الإنسان، «إلى جانب عنصر الدمار الصحي، وهذا عنصر آخر جديد هو ما تسببه طريقة الإنتاج الآلي للعامل من إرهاق عصبي ونفسي- ومن الناحية المعنوية انعدمت الصلة الوثيقة بين صاحب العمل والعمال والحق أن القيم الإنسانية قد أهدرت في ذلك العصر على نحو قل أن نجد له مثيلاً في التاريخ فالإنسان يعامل على أنه وسيلة ولا تصان حقوقه، وكانت الكائنات البشرية تعامل بنفس القسوة التي تعامل بها الأشياء الطبيعية الجامدة» (خضر، 2009، صفحة 325)، فيطالب المدير [المسؤول] العامل بما يعجز عنه بوصفه إنساناً، لأنه عادة ما يتعامل مع الآلة [الكومبيوتر، الناسوخ، الهاتف، التلفاز، آلة التصوير، الكاميرا...]. بلا روح ولا إنسانية، فهو يريد من العامل أن يسرع كالحاسوب، وأن يحضر كالهاتف، وأن يكرر العمليات كالألة الناسخة، وأن يتقن الوصف ويكثر الفعل.. وهي عمليات خاصة بالآلية أما الإنسان فله -طبيعياً- هامشه من الإبداع والخطأ والحرية والثورة.

-مقاربة تداولية في أخلاقيات التفكير الرقمي-

تُناقش "الأخلاقيات الرقمية" تطورات التقنية، وتعطي الحق للإتيقا القائمة على مبادئ العدالة والإنصاف والسرية والكرامة والمساواة ...، في مقابل الرفاهية والمصلحة والحرية والسلطة...، وتستحضر سؤال الملكية سواء ما تعلق بالأفكار الشخصية أم بالمعطيات الخاصة، وأمن المعلومات [الاختراق] والأعطاب والأعطال التقنية التي تلحق الأجهزة الالكترونية .. فحين نطالب الإنسان بأن يتنازل عن حريته وحقوقه وثقافته هويته مقابل القيام بالأعمال الرقمية المكررة .. فإننا نحرضه على الإدمان بكل ما يلحقه من الآثار السلبية الناجمة عن التفاعل المستمر وغير المعقول .. كما تؤدي الهويات الرقمية إلى معاداة الثقافات الأصلية [الديانات، العادات، والتقاليد والأعراف...] .. وإلى فقدان الهوية [الوحشية] ... وطغيان العبودية تحت سلطة التقنية .. وعبادة الأهواء والإلهاء والأوهام .. وتظافر مشكلات التزييف والتضليل والتعديل باستخدام برامج وتطبيقات تحرير وتغيير الصور وتفعيل الأصوات والتحكم في المقاطع والمرئيات والسميغات .. وتنامي خطابات الكراهية والعنصرية .. خاصة ما يصدر عن الحسابات الوهمية والأسماء المستعارة.

فإذا كانت القطبية الكلاسيكية تعني أمريكا وروسيا والصين .. فإن ظهور أقطاب رقمية تتمثل في البرامج المعتمدة والتطبيقات المستخدمة: الأنظمة [الويندوز والماكنتوش] .. المتصفحات [كروم واكسبلورر] .. البرامج [الفايسبوك والواتساب والتويتر والأستغرام والتليجرام والميسنجر والفايبر ...] وهي شبيهة بالمجتمعات العمومية التي نحيا داخلها في الواقع .. والمحركات [غوغل و] إضافة إلى تطبيقات التخاطر [التخاطب] والاجتماعات عن بعد [الزوم، السكايب، وغوغل ميت...]، وهي قضايا موهلة في الفرقة والتناظر.

تحيلنا "الأخلاقيات الرقمية" إلى مجموعة من الموضوعات، نذكر من أهمها:



وقد نشأت هذه الأخلاقيات استجابة لظهور أنواع مختلفة من التهديدات [المشكلات الرقمية] في الفضاء الرقمي، منها:

- 1- جرائم الملكية الفكرية: وتشمل نسخ البرامج بطريقة غير قانونية.
- 2- الاحتيال: احتيال التسويق، سرقة الهوية، الاحتيال في الاتصال وعلى البنوك.
- 3- سرقة الأرصاد: السرقة من خلال التحويل الإلكتروني أو من البنوك أو الأسهم.
- 4- سرقة البرامج: سرقة البرمجيات التطبيقية، سواء كانت تجارية أو علمية أو عسكرية، حيث تمثل هذه البرمجيات جهوداً تراكمية من البحث.
- 5- التدمير بالحاسوب: ويشمل القنابل البريدية، التخريب، إتلاف المعلومات، تعطيل الحاسب، ومسح البيانات.
- 6- إعادة نسخ البرامج: شكل مشاكل كبيرة وخسارة بالغة للشركات الأم، وأرباح طائلة للناشئين.
- 7- التجسس: التجسس بغرض الحصول على المعلومات المهمة وذات الطبيعة السرية.
- 8- التخريب الإلكتروني: تستعمل طرق التخريب من قبل قراصنة الحاسوب، وتتم عن بعد من خلال القنابل الإلكترونية والرسائل المفخخة.
- 9- رسائل التهديد والإكراه والعنصرية، وتشويه المعلومات، والكذب وتحريف الحقائق، والانتقاد العلني، والقتل والتحرش، والمضايقات الجنسية، ورسائل الاحتيال المالي [SPAM] ، والمواقع الإباحية.

مما استدعى الأمر التفكير في ميثاق الممارسة الرقمية [البروتوكول] (فبراير 2001)، لمناقشة جملة من المتطلبات، من بينها: ()

- 1- نشر الأبحاث الأصلية.
- 2- إرفاق المعلومات المنشورة بمصادر موثوقة [الاستشهاد والتوثيق].

-مقاربة تداولية في أخلاقيات التفكير الرقمي-

- 3- حرية التعبير وحرية التنظيم.
 - 4- الوصول إلى الأنترنت للجميع.
 - 5- الوصول إلى المعارف والتعليم المشترك والتأليف.
 - 6- البرمجيات مفتوحة المصدر المجانية وتطوير التقنيات [ضد الاحتكار].
 - 7- الخصوصية والمراقبة والتشفير.
 - 8- حوكمة الأنترنت وحماية الوعي وإعمال الحقوق.
 - 9- القدرة على مشاركة المعلومات والتواصل بحرية من أجل إعمال حقوق الإنسان.
 - 10- احترام مواثيق العالمية [الإعلان العالمي لحقوق الإنسان ...].
- تُنظم نظريات "الفلسفة التطبيقية" [أشكلة الفعل] أخلاقيات التواصل [التفاعل] الرقمي، وتعين على مناقشة موضوعات الراهن الحوسبي في ظل هاجس التقنية ومصير الإنسان المستقبلي وفق المفاتيح الآتية:
- 1- المناقشة = ترشيد الفعل التواصلي، احترام أدبيات الكلام [نظرية هابرماس].
 - 2- التعايش = قبول الآخر واحترام حريات وإرادات وحقوق الآخرين [نظرية لايبنتز وإدغار موران].
 - 3- العقلانية = مراعاة الاقتصاد الرقمي، الاعتدال في النفقات [نظرية أمارتيا سن].
 - 4- الصحة = المحافظة على صحة الإنسان والعناية بجسده أثناء الممارسة الرقمية [نظرية داغوني].
 - 5- المسؤولية = تحديد المسؤوليات المترتبة عن الممارسات [نظرية ليفيناس وهانس يوناس].
 - 6- الاعتراف = القول المفيد وأخلاقيات التواصل مع الآخر [نظرية هونيت، وتابلور].
 - 7- الحضور والغياب = فلسفة الأثر بين طرفي الزوال والبقاء [نظرية دريدا].
 - 8- المراقبة والمعاقبة = سلطة المعرفة وقهر الواقع [نظرية ميشال فوكو].
 - 9- التضامن والتعاون = تعميم الخير في مقابل استمرار الإنسانية [نظرية جون ديوي، وإدغار موران].
 - 10- التسامح = العفو بتجاوز الإساءة وتفعيل المصالحة [نظرية هابرماس وفولتير].

11- الحرية والتحرر = تحديد القرار وتحديد الخيار [نظرية سينيوزا وروسو وحنة أرندت].

12- الفردية والغيرية = سلطة الذاتية وسلطان الآخر [نظرية شوبنهاور وهايدغر وهوسرل وغادامير].

13- الكرامة والاحترام = صورة القول لحظة الفعل [نظرية كانط ونييتشه وفارغاس وروبرتو أندورنو].

14- القصديّة والمعنى = إجراءات الكلام وأدبيات المعنى [نظرية جول سيرل وهوسرل].

يقترح بوعرفة عبد القادر مفهوماً معقولاً وعقلانياً للـ"إنسان" في ضوء الاستعمال الطبيعي والاصطلاح الأنطولوجي، «إن الإنسان كائن حي عاقل مريد مدني بالطبع ومتأنس بالقوة، ومتعال بالقلب والعقل واليد» (العالي، 2009، صفحة 90) لكن حين يتعلق الأمر بـ"الرقمنة" في علاقتها بتنبؤات "المستقبلات" فيتخذ أفهوم "الإنسان" دلالة مغايرة، «لقد خسر إنسان التكنولوجيا ذاك الحيز الجميل الذي كان يتوق من خلاله للوصول إلى ما قد لا يصل إليه البتة، عندما كان ينتشي غبطة، ورصاً ذاتياً عن إشباعات نفسية، افتقدها اليوم بعد أن صار يعيش ألماً وحسرة، حتى أنه أصيب باليأس والكآبة من انعدام المبادئ...» (بوعرفة، 2001، صفحة 6)، وأصبح الإنسان الجديد يعاني من كثرة التواصل ومن وفرة وسائل الاتصال بشكل غريب ورهيب.. كما يشكل وجد "المستقبل" [المصير] جدلاً متسعاً مع فقد "الذاكرة" [التاريخ] في تقصي رهن فلسفة الإنسان، «وأصبح فقدان الذاكرة التاريخية ظاهرة خطيرة جداً، ليس لأنه يهدد النزاهة الأخلاقية والثقافية فحسب، وإنما لأنه يضع الأساس للجرائم التي تنتظرنا أيضاً» (تشومسكي، 2013، صفحة 111)، وهنا إشارة إلى ضرورة استمرار "التاريخي" أو عودته مرة أخرى لعقلنة الرقمنة واستعادة طبيعة الإنسان وحيثيته.

خاتمة:

يتضح الفرق بين الأخلاقيات الكلاسيكية والأخلاقيات الرقمية في مجالات "التفاعل" مقارنة لفهم حقيقة الحياة ومستقبل الإنسان .. إذ يُفيد التفكير الرقمي في مساءلة "التفاعلية" لحظة الإنجاز والممارسة .. كما يحيل "التفكير الرقمي" على سؤالات فلسفية جديدة وأخلاقيات متداخلة كالضيافة والاستضافة، والسلطة، والاقناعية، والتلقي، والوعي، والفهم، والأثر، واللغة [الأصلية، الترجمة،

-مقاربة تداولية في أخلاقيات التفكير الرقمي-

العامة، الدارجة، العالمية...]، والتأويل، والوجود الآخر، والواقع، والحياة، وطبيعة ومصير الإنسان، وهي موضوعات منفتحة على ثقافات التواصل وهويات المجتمعات المعاصرة.

أسهمت التطبيقات Applications والبرامج Programmes ، والتسويق الرقمي le marketing numérique، في نقل الواقع الحقيقي إلى عوالم الحياة الموازية المقربة من الرقمية [الافتراضية].. لكن حين يتصرف الكائن الرقمي بغرابة من خلال تطبيقات غوغل ماب [Google Map] إذ "يسمح بتحديد الموقع [Localisation] ولا يسمح بتحديد الموقف" [Déterminer] يؤول الأمر إلى المغالطة والحيلة .. لما يتبع ذلك من اختصار وتقييد وحصر وضياح للحريات [الاستقلالية] وللخصوصيات [السرية]، إذ أن مجرد البحث في الأنترنت [محركات البحث] يعطي الإذن [الحق] لهذه المواقع في استخدام هذه البيانات والمدخلات ضمن مشروعات ربحية واقتصادية .. يؤدي في الختام بالفعل إلى التعدي على الحياة الخاصة والحرية الشخصية.

وكنا نخشى على الإنسان أن يفقد حياته وطبيعته بسبب إدمان الرقمنة لكن أصبحنا اليوم نخشى عليه أكثر أن يحرم من عالم الافتراض الذي ألفه واعتاد عليه [الاعتقاد] [التعدي] والذي بات يشكل له وجوده الآخر بل والمهم ويحيله إلى منظومات "الحرام والحلال"، واستراتيجيات "المسموح والممنوع" في مطارحات: هل يحق لشخص أن يمنع غيره من قراءة أو مشاهدة صورته أو مرئياته أو تعليقاته على المواقع والسوشل ميديا؟ ربما لأنه غير معتقده أو تراجع عن تصريحاته أو تبرأ من عاداته .. وهل له الحق في استعادة الأرشيف الرقمي من المتداول في المواقع؟.. وغيرها من المشكلات الرقمية ... وهي دعوة للتفكير بحجة وثقة في ثقافة الممكن والمحال .. وتدبير الأزمات بالانزياح من الأخلاقيات [الأدبيات] إلى القوانين [العقوبات].

تُشير فلسفات "المصفوفة" Matrix إلى أصول النسيج والمنبت والقلب الحقيقي للأشياء.. كما انتقلت فكرة "التجسد" incarnation من الآلهة [الافتراضي والسماوي] إلى الصورة الرمزية للإنسان [الأرضي والواقعي] عن طريق الإيقونات، وهذا ما يحققه الرقمي والحوسبي في شكل الكائن التحويلي Avatar، أو الحديث عن "ميتا فيس" Metaface، وتعني [الكون الفوقي] القائم على

ثلاثية الأبعاد، أو تقنية الهولوجرام Holographique [التصوير التجسيمي].. كما يطرح فكرة ممارسة الجنس عن بعد .. وهذا ما تم التطرق إليه مؤخرا وبكثافة بسبب جائحة كورونا -Covide- 19.. تجنباً للعدوى [التعدي]، كما يحضر سؤال التعري والحق في إظهار وكشف الجسد عن طريق تقنيات الرقمنة والتخاطب [التخاطر] عن بعد، غير أن التداويات الرقمية التي لا تقف عند حد ولا تفصل في قيد ... تكاد تسابق التفكير الرقمي .. و تحصر الأخلاقيات في مجالات الافتراض [المشاريع] بدل الاعتراض [القوانين].

المصادر والمراجع:

1. إبراهيم أحمد ملحم. (2013). الأدب والتقنية -مدخل إلى النقد التفاعلي-. إربد، الأردن: عالم الكتب الحديث.
2. سناء خضر. (2009). الفلسفة الخلقية والعلم -نظرة نقدية-. الاسكندرية، مصر: دار الوفاء لداليا الطباعة والنشر.
3. عبد السلام بنعبد العالي. (2009). الكتاب بيدين. الدار البيضاء، المغرب: دار توبقال للنشر.
4. عبد القادر بوعرفة. (2001). الإنسان المستقبلي في فكر مالك بن نبي. وهران، الجزائر: دار الغرب للنشر والتوزيع .
5. مارتن هيدغر. (2016). نهاية الفلسفة ومهمة التفكير. (وعد علي الرحية، المترجمون) دمشق، سوريا: دار التكوين للتأليف والترجمة والنشر.
6. نديم نجدي. (2017). قيامة الفلسفة -مآل الكلمة في العصر الرقمي. بيروت، لبنان: دار الفارابي.
7. نعوم تشومسكي.. (2013). صناعة المستقبل "الاحتلال، التدخلات، الإمبراطورية، والمقاومة"،. بيروت، لبنان،: شركة المطبوعات للتوزيع والنشر.